انتقاد رؤية الله في الجنة

1- الله تعالى يذكر "رؤية الله" و "الاطّلاع إلى الله" ما يقارب عن 6 مرات:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأعراف (7:143)

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ سورة البقرة (2:65)

﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ سورة النساء (4:153)

﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ سورة القصص (28:38)

﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سورة غافر (40:37)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ سورة الفرقان (25:21)

في كل هذه الأمثلة هناك إمّا رد سلبي أو غياب الرد عن مسألة رؤية الله. لاحظ أن مسألة الرؤية بأكملها المتعلقة بالله يأخذ هذه الأجوبة، لا يوجد فارق بين المعنى الحقيقي والمجازي، رؤية الله في القرآن في كل سياق يأخذ إجابة سلبي أو عدم إجابة عن المسألة. لا يوجد أي آية يزيل إشكاليات قد تُنشأ التي تعطي مجال للناس أن يقولوا بأن هناك عدم رؤية. يعني مثلاً، إشكالية استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه زالت في أول سياق تتكلم عن تحريم الاستغفار للمشركين حتى قبل ذكر القصة نفسه مثل ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ فلو كان فعلا هناك رؤية الله سواء أكانت حقيقي أم مجازي، لذُكر في القرآن في أحد السياقات وهناك احتياج لذلك

2- لو كان هناك رؤية الله في الجنة، لكان ذكر ذلك في سياق آيات تتكلم عن تفاصيل الجنة أهم من ذكر تفاصيل أخرى مثلا في ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ و ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ و ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ و ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾. فذكر رؤية الله أهم من ذكر هذه التفاصيل

أما نور الله فهو يُعتبر مجازي طبعا، مثل الهدى كما وردت في كثير السياقات

3- ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ(143)﴾

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾:

1. قد يسأل موسى أن يرى ربه فقط للرد على بني إسرائيل (مثل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾، فموسى يسأل ربه أن ينظر إليه الرجال الذي معه ليس فقط هو لنفسه)، وموسى يعرف أن رؤية الله مستحيل، لكنه يريد قومه أن يشهد أنه سأل السؤال

لن تراني يحمل دلالة بأن الله أيأس موسى عليه السلام من رؤيته، ولم يحدد متى يراه ومتى لم يراه (مثل الجنة).

لو رد أحد وقال بأن الله لم يقل "لم تروني" فنحن نرد ونقول بأن الله يخاطب المؤمنين حتى مع خطاب المفرد مثل ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ ولم يقل "فلا تقولوا"، وهناك أمثلة كثيرة عن ذلك

2. موسى قد يسأل أن يرى ربه مع عدم العلم بأن رؤية الله مستحيل، وربما أسئلة فرعون وقومه جعله يظن بأن الله يُرى. الرسل يتعلّمون العقيدة، والأخلاق، وغير ذلك في مراحل، مثل قصة الخضر مع موسى عليه السلام، وسؤال إبراهيم لربه ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ ومع أن إبراهيم يؤمن، هو يريد زيادة الاطمئنان القلبي، وقد استغفر لأبيه ثم تبرّأ منه عندما تبيّن له المسألة. والنبي (ص) يخطئ أيضا: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾، ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ ونظير قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (يوجد اختلاف في فهم هذه الآية بين السنيين والشيعة)

الآن نحن أجبنا عن سؤال السائل: "كيف لنبي أن يسأل الله الرؤية من الجهل مع أن الأنبياء متمكنون في معرفة المسائل في العقيدة؟" مع النقطتين الذي ذكرناها، قد يسال من الجهل، أو يسأل للرد على بني إسرائيل

﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾:

الدلالة الظاهرة هنا أن الله أيأس موسى عليه السلام من رؤيته في الدنيا والآخرة، لكن هناك مجال للرد على ذلك لأن السياق تتكلم عن مسألة متعلقة بالدنيا، مثل الجبل...

﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾:

الله لم يرفض قوله ثم ينتهي الكلام، بل يستمر الكلام معه، ويستعمل أسلوب لطيفة في القول ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ﴾، هذه الأسلوب ألطف من انتهاء الكلام بعد ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، وربما الكلام المذكور في الآية: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ تُعتبر كلام أفضل وألطف من ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾

وأيضا، كأن الله يقول بأن لو استقر الجبل فسوف تراني، وإن لم تستقر الجبل لن تراني أبدا. فلا يقول قائل بأن الشرط في الآية يعطي مجال لأن نقول بأن رؤية الله يجوز للإنسان، لأننا نعرف بأن مكان الجبل لم تستقر.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾:

ولا يقول قائل بأن التجلي هنا بمعنى نور الله الذي يدمّر الجبل كأنما اعتُبر نور الله مثل النار الحارقة المادّية حاش لله، إنما نور الله في القرآن قد يُعتبر معنى قريب من الهدى مثل: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾. التجلي هو الظهور، والظهور لا يلزم الرؤية، قد يظهر الشمس لرجل أعمى ويعرف الأعمى أن الشمس ظهر من حرارته عندما يخرج من بيته في النهار. ونظير قوله تعالى:

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21]

إذن، هنا قد يعتبر ظهور الله مثل ظهور آية، أو شيء قريب من ذلك. ربما نعتبر تجلي ربنا شيء نسبي، كلما جاءت آية كلما تجلى ربنا أكثر للخلق الذي شهد الآية

4- ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ(20) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ(21) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(23) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ(24) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾

معنى ناظرة الانتظار، مثل ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾. أيضا، النظر إلى الشيء قد يكون بمعنى مجازي، مثل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قال الرازي:

فالمُرادُ أنَّهُ لا يَنْظُرُ إلَيْهِمْ بِالإحْسانِ، يُقالُ: فُلانٌ لا يَنْظُرُ إلى فُلانٍ، والمُرادُ بِهِ نَفْيُ الِاعْتِدادِ بِهِ وتَرْكُ الإحْسانِ إلَيْهِ، والسَّبَبُ لِهَذا المَجازِ أنَّ مَنِ اعْتَدَّ بِالإنْسانِ التَفَتَ إلَيْهِ، وأعادَ نَظَرَهُ إلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرى، فَلِهَذا السَّبَبِ صارَ نَظَرُ اللَّهِ عِبارَةً عَنِ الِاعْتِدادِ والإحْسانِ

ثانيا: "إلى" و "ناظرة" لا يلزمان الرؤية، انظر إلى الآية:

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قال الرازي:

لا يُقالُ: النَّظَرُ المَقْرُونُ بِحَرْفِ "إلى" غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ في مَعْنى الِانْتِظارِ، ولِأنَّ الِانْتِظارَ غَمٌّ وألَمٌ، وهو لا يَلِيقُ بِأهْلِ السَّعادَةِ يَوْمَ القِيامَةِ، لِأنّا :نَقُولُ: الجَوابُ عَنِ الأوَّلِ مِن وجْهَيْنِ

الأوَّلُ: النَّظَرُ المَقْرُونُ بِحَرْفِ "إلى" قَدْ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنى الِانْتِظارِ والتَّوَقُّعِ، والدَّلِيلُ عَلَيْهِ أنَّهُ يُقالُ: أنا إلى فُلانٍ ناظِرٌ ما يَصْنَعُ بِي، والمُرادُ مِنهُ التَّوَقُّعُ والرَّجاءُ

هنا قد يأتي السؤال: هل الانتظار غمّ وألم؟

أجاب الرازي:

وأمّا السُّؤالُ الثّانِي: وهو أنَّ الِانْتِظارَ غَمٌّ وألَمٌ، فَجَوابُهُ أنَّ المُنْتَظِرَ إذا كانَ فِيما يَنْتَظِرُهُ عَلى يَقِينٍ مِنَ الوُصُولِ إلَيْهِ، فَإنَّهُ يَكُونُ في أعْظَمِ اللَّذّاتِ

أيضا قد يسأل سائل: ماذا ينتظر المؤمنون في الجنة من الله تعالى إذا كان كل النعيم والخير متوفر حولهم؟

قد نقول بأن الآيات تتكلّم عن بداية يوم القيامة، قبل الدخول إلى الجنّة. هناك أحداث تحدث يوم القيامة قبل الدخول إلى الجنّة للمؤمنين، وقبل العذاب للكفار وسيأتي الأمثلة. سياق الآيات قبل ﴿إلى ربها ناظرة﴾ تتكلّم عن الآخرة، وقد يكون الكلام عن الآخرة عن أحداث تحصل قبل الدخول إلى المأوى.

آيات أخرى:

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾

الآيات لا يدل على أي رؤية لأن الله صرّح بالرؤية في الآيات الست الذي ذكرته في أول الكلام، وهذه المسألة بالذات يحتاج إلى التصريح. والالتقاء لا يلزم الرؤية. الكفار يردون إلى ربهم:

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾

وأقوى حجّة عندي ضد زعم رؤية الله في الجنة هو الحجة الثانية: عدم ذكر رؤية الله في الجنة مع أنه ذكر تفاصيل أقل أهمّية وقد تُعتبر أقل ثواب من رؤية الله في الجنة.